إميلـــي بشـــــــارات

تراجيديا راهبة بثوب ورديّ

لا يهدف هذا السرد إلى تقديم سيرة حياة رائدة الحركة النسائية الأردنية المحامية إميلي بشارات كاملة، بقدر ما هو محاولة إلى إلقاء بعض الضوء على بعض تجربتها الإنسانية والمهنية، وهذه المحاولة هي مقتطفات من جهد بدأته قبل سنوات من رحيلها بهدف التوصل إلى ما يمكّن من كتابة سيرتها كاملة، إلا أنه لاقى وما زال صعوبات، أبرزها صمتها واعتكافها في حياتها، وحجب وثائقها، وتحديداً ما كتبته بقلمها هي، من مذكرات ويوميات بعد وفاتها، لأنتهي إلى أن ما أقدمه الآن هو قراءة وفي أحاديث بعض أقاربها وصديقاتها، وقراءة في بعض وثائقها وكتابتها، وأخيراً قراءة لموجودات شقتها المتواضعة من مكتبة وأثاث ومقتنيات شخصية.

سؤال التاريخ:

كثيراً ما أرقتني أسئلة التاريخ. وبخاصة عندما عملت في المكتبة الوطنية الأردنية (مقر ذاكرة الوطن الأردني) إذ أصدم كل صباح بصور كثيرة لرجال تركوا بصماتهم بطريقة أو بأخرى على زمن الوطن. أو أجول على رفوف المكتبة وملفات وثائقها لأقرأ ما يؤرخ لهذا الوطن لأتساءل– وقد تساءل غيري كثيرات وكثيرون– ما هو التاريخ؟ كيف يكتب؟ ومن يكتبه؟ من هم الجديرون بالدخول في هذا التاريخ لتحفظ ذكراهم؟ من يختارهم؟ وربما وعلى نحو أدق، هل التاريخ – أي تاريخ– هو ما نقرأه في الكتب الرسمية، تاريخ الحكام والسادة الرجال والسلطات؟ أم هو تاريخ الناس والمجتمعات؟ وارتباطاً بهذا النص، ألا يوجد في تاريخ بلادي، ناسها وأحداثها نساء تركن بصماتهن على وجه زمن الوطن؟

أسئلة كثيرة أخرى قد تبدو ساذجة، لكنها مشروعة وهذه المشروعية دفعت كثيرات غيري، ومن قبلي، ليتبنيّن شعار "إعادة النساء إلى التاريخ". وأولهن على المستوى العربي الرائدة الراحلة زينب فواز، التي سبقت رافعات هذا الشعار في الغرب.

إذن هي محاولة ناجمة عن قلق سؤال وجود النساء، قلق الخوف من نكرانهن، وقلق القدرة على التعبير عن العرفان للراحلة الرائدة، ذلك كلّه شكل دوافعي لكتابة سيرة حياة إميلي بشارات. لذلك أعلن ابتداءً أنني لا أدعي الحياد وأنا أنقب عن تفاصيل حياة هذه السيدة، فلها عليّ شخصياً وعلى الأردنيات، فضل فتح الأبواب أمام انطلاقتهن للفضاء العام. وكنت آمل أن أتمكن من كتابة سيرة حياتها قبل رحيلها، ليكون جهدي المتواضع أمام ما قدمته، تأكيداً عملياً لما كنت أحاول إيصاله لها عبر مكالمتنا الهاتفية، من احترام لتجربتها واعتراف بفضلها، لكنها اختارت الرحيل الصامت بعد اعتكاف قارب الربع قرن، وحيدة إلا من رفقة ابنة اختها عبلة التي

رعتها دائما، وسيدة اختيرت لمساعدتها، وسط احتفالات ميلاد يسوع المسيح سنة ٢٠٠٤، وكأنها في اعتكافها الطويل ورحيلها الهادئ أرادت وضع اللمسات الأخيرة على تراجيديا حياة امرأة أرادت إختراق سكون مجتمع قبلي، بتحريك بركة حياة النساء الراكدة، وتحويلها إلى نهر جارف ذرّاته نساء ينطلقن في الحياة وإليها.

عبقرية المكان:

أتساءل حول مفارقة الجهل بتاريخ الناس والأمكنة في بلادي. ومن هذه المفارقة جهلي الشخصي بتاريخ الأستاذة إميلي بشارات وبخاصة أنني تطوعت للعمل في الاتحاد النسائي في الأردن– وهو الاتحاد الذي أسسته الأستاذة سنة ١٩٥٢ وأعادت تأسيسه سنة ١٩٧٤ – بعد مغادرتها لهذا الاتحاد واعتزالها العمل العام، ومن جوانب هذه المفارقة، أنني وبعد اعتزالي– أيضا– العمل التطوعي العام في الاتحاد وغيره من المنظمات النقابية والسياسية، وقصر جهودي على البحث والتأليف، إلى جانب وظيفة متواضعة سمح لي بإشغالها في وزارة الثقافة. كنت كثيراً ما أتساءل، وأنا أكسر رتابة العمل الوظيفي بتأمل المكان، عن أصحاب هذه الفيلا التي شغلتها وزارة الثقافة في ذلك الوقت، وعن مستوى الذوق الرفيع والأصالة لأصحابها فانعكس على فن عمارة هذا البناء، الذي ظل بالرغم من فوضى ساكنيه، ويد الزمن والتخريب الذي طالته، محتفظاً بأناقته الأصيلة وجماله البسيط.

كان ضحىً عمانياً رقيقاً، وكنت قد تعبت من رتابة العمل الحكومي، ورفض الأستاذة مقابلتي للحديث عن تاريخها وتاريخ الحركة النسائية الأردنية. فحاولت إشغال نفسي بتأمل شجرة الغار العتيقة التي كثيراً ما يختلط عطر أوراقها بعطر بقايا عريشة ياسمين في صباحات جبل اللويبدة النديّة، في ذلك الضحى مرت كطيف، واختفت بسرعة في عربة مستأجرة، ومضت. لأتنبه أنا إلى ضحكات زميلات يتندرن بالسيدة العجوز، التي خرجت للتو من مكتب معالي السيد الوزير مهددة بمقاضاة الوزارة لتخريبها البناء، ومطالبة بإخلائه. لأعرف في ذلك الضحى أن هذه السيدة العجوز التي اخترقت عطر الياسمين العتيق ومرت كطيف هي الأستاذة إميلي بشارات.

كانت تلك المرة الوحيدة التي أشاهدها، بل الأصح أشاهد ظهرها وهي تدلف إلى العربة المستأجرة لتختفي في أزقة جبل اللويبدة. لن أتحدث عن حجم الإحساس بالتقصير تجاه هذه السيدة وتجاه تاريخ النساء، وأنا أحاول شرح مكانة هذه السيدة ودورها المؤثر في أوضاع النساء

للزميلات المتندرات، وهن يتطلعن إليّ ببله مستغربات حماستي وحنقي. تركتهن مضيت في الجبل لأبحث عن منزلها الآخر بعد أن أفادوني أنه قريب جداً.

جبل اللويبدة العتيق ومساكن كثيرة لآل البشارات، بعضها عتيق، وبعضها تم ترميمه وإعادة رونق الماضي إلى حجارته الوردية. أمضي في أزقة الجبل وسط البيوت التي خرجت من رحم الوادي الكبير المظلل بجبال عمان السبعة–وسط المدينة– لتستقر على حواف التلال الجديدة، أرستقراطية قديمة وجدت في أرض الجبل الخصبة ضالتها، فبنت مساكنها على مساطبه لتشكل حيّ سكني قديم، تفوح منه رائحة عراقة طبقة ناشئة ساعدت بساطة التركيبة الاقتصادية– الاجتماعية، ونزاهة تكوين ثروتها في ذلك الوقت، على بساطة التعبير عن ثروتها ومكانتها الاجتماعية. فنبتت مساكنها على شكل بيوت حجرية جميلة تكاد تختفي وسط أشجار السرو والفاكهة ومعرشات الياسمين والورد.

معظم هذه البيوت التي ضمت بين جنباتها أبناء العائلات الارستقراطية القديمة تشهد اليوم وللمفارقة معظم الحراك الثقافي والسياسي في البلاد. فعلى الجبل ذاته، تستقر مقرات غالبية المؤسسات الثقافية وبعض السياسية. فمنزل إميلي بشارات ذاته هو مقر مديرية المسرح والفنون وفي حديقته بني أول مسرح في الأردن "مسرح أسامة المشيني"، وقبالة المنزل مقر نقابة الفنانين الأردنيين. وفي الشارع الذي سكنته بعد مغادرتها لتسكن شقة صغيرة مستأجرة، مقر رابطة الفنانين التشكيليين. وعلى بعد خطوات مقر رابطة الكتاب. وفي الشارع الموازي مقر الجمعية الأردنية لمكافحة الصهيونية. وفي طرف الجبل وعلى امتداد الشارع ذاته مقر دارة الفنون.

وفي الطرف مقر المعهد الدولي لتضامن النساء، ومقر المكتبة التي سميت باسمها. مكتبة إميلي بشارات للحقوق والقانون وقضايا المرأة والمجتمع المدني.

ومن تجلّيات هذا المكان، أن تتجاور على جنباته العائلات المسيحية والمسلمة، وأن يضم أول الكنائس والمساجد وأن يسكنه قادة سياسيون ومفكرون وكتاب ومنهم المفكر القومي الراحل د. منيف الرزاز وابنه الروائي الراحل مؤنس الرزاز، وأمين عام الحزب الشيوعي سابقاً وحزب الشغّيلة حالياً د. يعقوب زيادين وزوجته الناشطة النسويّة سلوى زيادين. فضلاً عن نفر من الأدباء والفنانين والسياسيين والصحفيين منهم الراحل د. عبد الرحمن شقير والروائي الراحل عبد الرحمن منيف.

ويطرح السؤال هل هي صدفة عابثة أن يبني الجبل أرستقراطية عمان القديمة وجلهم من آل بشارات. ليتحول بعد ذلك الجبل العتيق إلى جبل الثقافة والسياسة، أطرح السؤال ولا أهتدي

إلى شقة الأستاذة إميلي بشارات. تستمر محاولاتي لمقابلتها، ويستمر هاتفها بالصمت، إلى أن رحلت سنة ٢٠٠٤ لألتقي بما تبقى من أنفاسها الهادئة في شقتها الخالية وأنا أحاول جمع ما تركت لنا في وصيتها من مكتبة ومقتنيات وبقايا أرشيف وكتابات.

الوصية: الخاتمة طريق البداية

من قلب فراغ الموت تؤكد إميلي بشارات استمرارية عطائها. فقد تركت وصية تقضي بتوزيع ممتلكاتها على المؤسسات الخيرية الراعية للأيتام وكنيسة البشارات التي بناها عمها، شرط أن تقوم الكنيسة بتأسيس مؤسسة لرعاية الأيتام باسم سلطي باشا البشارات، فضلاً عن بعض المؤسسات الأكاديمية والطبيّة. وتقدر مجموع المبالغ النقدية الموصى بها بما يزيد عن نصف مليون ديناراً أردنياً [١]، أما نصيب المعهد الدولي لتضامن النساء فقد كان، من وجهة نظري، لا يقدّر بثمن. كان مقتنياتها الشخصية من كتب وأثاث وملابس وتذكارات. والسؤال لماذا؟

ربما تكمن في إجابة هذا السؤال بالتقاط أول خيوط التراجيديا في سيرة حياة الأستاذة والتي بدأت من ولادتها في مدينة السلط سنة ١٩١٣ لسيد من قبيلة مسيحية كبيرة، سلطي باشا البشارات. التي تعود بأصولها إلى مدينة السلط القريبة من عمان العاصمة، والتي كانت حاضرة الأردن الأولى إلى عهد الإمارة، وقد عرفت هذه القبيلة بثرائها الواسع وملكيتها لمساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، فضلاً عن تعلم أفرادها وإنفتاحهم على العالم، من خلال تعرّفهم على الغرب واشتغالهم بمهن غير تقليدية نسبة إلى طبيعة العشائر الأردنية في بدايات القرن الماضي. ومع ذلك كلّه، حافظت هذه العائلة على التزامها بالعادات والأعراف العربية وبخاصة ما يتعلق بالنساء.

عرف عن سلطي باشا البشارات والد إميلي، ما يعرف عن سادة القبائل عادة من طيب نفس وجود وسماحة وصرامة في آن، فضلاً عن النفوذ الواسع لدى السلطات الحاكمة في العهدين العثماني أولاً والملكي الأردني ثانياً.

أما في ما يتعلق بنساء العائلة فقد عرف عنه التعصب الشديد، ولا أظنه في ذلك خارج على سياق زمنه. وقد تجاوز هذا التعصب ليقبل بتعليم إميلي صغرى بناته الثلاث وبخاصة أنه لم يرزق بالإبن الذكر، فوجد في الابنة الصغرى التي أظهرت ومنذ وقت مبكر ذكاءً وقاداً

وشخصية متميزة ضالته، فقبل بسفرها إلى رام الله في فلسطين لتلقي العلم في مدرسة الفرندز في رعاية الكنيسة ثم إكمالها التعلم في الكلية السورية البريطانية في بيروت. وكان ذلك أقصى ما يمكن أن يسمح به الشيخ الجليل. وعنه تقول إميلي في إحدى مقابلاتها الصحفيّة: "كانت أمنيتي منذ الصغر أن أصبح محاميّة الأمر الذي عارضه والدي بشدة لمناهضته للمهنة والتعليم المختلط، لقد نشأت في بيئة محافظة جداً ، والدتي محجبة، ووالدي – زعيم العائلة– الحاكم المطلق، كلمته حكم قطعي غير قابل للاستئناف ولا التمييز".[٢]

لم يكن التعليم المحدود والاشتغال بالتدريس حلم الشابة المتوقدة ذكاء، التي أخذت عن الباشا الحكمة والصرامة والطموح، فضلاً عن الجود والكرم والرغبة بمساعدة الآخرين، فلجأت إلى العمل الخيري التطوعي، وأسست سنة ١٩٤٥ جمعية الاتحاد النسائي الأردني لكن هذه الجمعية لم تعمّر طويلاً كما مارست الكتابة عبر الصحف المحلية الصادرة في عمان وشغلت موقع محررة القسم النسائي في مجلة الرائد التي صدرت في عمان أربعينيّات القرن الماضي واستطاعت بدماثة خلقها وثقافتها الواسعة اكتساب ثقة الآخرين، وبدأ نجمها بالسطوع كناشطة اجتماعية ومثقفة بما لفت الأنظار إليها. هذه الشخصية اللامعة لم تقنع الباشا بأحقية البنات في الأردن وإدارة ثروة العائلة، حتى وإن كان بينهن واحدة كإميلي فأقدم – كما يقدم كثيرون غيره– على منح أملاكه من العقارات والأراضي الخصبة الشاسعة إلى أبناء اخوته الذكور، تاركاً لنساء العائلة ومنهن إميلي الجزء اليسير.

الانقلاب

من اللافت في شقة إميلي بشارات المتواضعة، غرفة جلوسها حيث الموقد القديم، تتصدر جدران صورتها برداء وردي موشح بالأسود، تضيء وجهها ابتسامة لطيفة وتحت الصورة وعلى الموقد تمثال متوسط الحجم للثائر الروسي لينين. وعلى الجدار المقابل وبالتوازي إطاران أنيقان أولهما يضم صورة شيخ جليل متجهم والآخر صك منح الباشوية للشيخ سلطي البشارات والد إميلي.

ربما يشكل هذا التنسيق مدخلاً لقراءة التحول الدراماتيكي الأساسي في حياة إميلي. ففي مطلع الخمسينيات ومع انطلاقة المد القومي مع ثورة يوليو/تموز في مصر بدأت القوى السياسية اليسارية والقومية بالانتعاش والتوسع، وقد رأت هذه القوى في الناشطة الشابة المستقلة فكرياً

وسياسياً وحاملة الوعي الديمقراطي العروبي العام شخصية يجدر استقطابها، عزز ذلك، ما أظهرته أنشطتها في مرحلة الأربعينيات من اهتمام بالشأن السياسي العام وتحديداً القضية الفلسطينية، التي عبرت عنها بسلسلة من الكتابات في الصحف المحلية، فضلاً عن سلسلة من اللقاءات والمحاضرات أجرتها مع الجالية العربية في أميركاومع مطلع الخمسينيات، تأسيسها لأول مركز لرعاية وتعليم الأيتام في الأردن، إذ أقيم هذا الميتم في قاعة بنيت من الخشب ومعدن الزينكو لاستقبال أيتام اللاجئين الفلسطينيين، ثم توسّع برعايتها وإدارتها ليستوعب ٢٠٠ طفلاً يتيماً سنوياً. وظلت ترعى هذا الميتم عن قرب وعن بعد حتى سنة ١٩٦٥، [٣] إذ تم الاستيلاء عليه وأصبح معروفاً الآن باسم "مبرة أم الحسين". من جهة أخرى ساعدت التحولات السياسية الرسمية والتي تمثلت بحركة تعريب الجيش الأردني وإلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية، على إظهار حراك سياسي واسع، سهل للنساء مهمة الانخراط بالعمل السياسي العلني وذلك أدى إلى التركيز على إميلي بشارات كشخصية مثقفة ديمقراطية مستقلة مقبولة لدى جميع القوى السياسية واستقطابها لأجل العمل على تأسيس حركة نسائية ديمقراطية.

وبالفعل قامت إميلي بشارات بتأسيس الاتحاد النسائي الأردني عام ١٩٥٤ وكان شعاره "حقوق ومسؤوليات متساوية وحدة عربية كاملة"[٤] وعمل معها في هذه المنظمة نخبة من المعلمات والمثقفات الناشطات سياسياً واجتماعياً منهن لمعة الرزاز وإميلي نفاع وسلوى زيادين وغيرهن من ناشطات الأحزاب القومية واليسارية فضلاً عن سيدات مستقلات سياسياً منهن وداد بولص، سلوى الدجاني، فريدة السعد، وفريدة غنما وسميحة المجالي وزها منكو. إلا أن هذا الاتحاد لم يعمر طويلاً، إذ تم حلّه مع الانقلاب الحكومي على مبدأ مشاركة الأحزاب والقوى السياسية القومية واليسارية، والذي كان من نتائجه حلّ الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والمهنية وغير ذلك من المنظمات الشعبية كافة بما في ذلك المنظمات النسائية.

لقد شكل هذا الاتحاد نقلة نوعية في نشاط إميلي بشارات العام، فضلاً عن العمل النسائي بشكل عام، إذ انتقلت به ومن خلاله من ممارسة العمل التطوعي الخيري إلى فكرة العمل الحقوقي المطلبي التوعوي. وقد كان لهذه النقلة العميقة في بدايات إميلي بشارات التي تمظهرت في كتابتها الأولى، إلا أن نشاطها في الاتحاد أضفى على تطور فكرها الاجتماعي والسياسي طابعاً واضحاً ومباشراً. فعلى سبيل المثال نقرأ في أهداف هذا الاتحاد:

"١- مكافحة الأمية بشتى الوسائل ورفع مستوى المرأة أدبياً واجتماعياً واقتصادياً وإعدادها إعداداً صحياً لتمارس حقوقها الكاملة كمواطنة.

٢- تنمية أواصر الصداقة والتفاهم بين النساء العربيات ونساء العالم من أجل المساهمة بتحسين أوضاع الوطن في شتى المجالات الحيوية وتوثيق عرى السلام العالمي"[٥].

وقد تمت ترجمة هذه الأهداف إلى سلسلة من البرامج والأنشطة التثقيفية والمهنية والمطلبية، فعلى صعيد المطالب تم العمل من أجل تحقيق المساواة القانونية في قوانين الأحوال الشخصية والعمل. ومن المنجزات التي سجلت نتيجة هذه الأنشطة أن تم سنة ١٩٥٥ تعديل قانون الانتخاب بمنح النساء المتعلمات تعليماً ابتدائياً حق الانتخاب، لكن إميلي بشارات وجدت في هذا التعديل انتقاصاً من حقوق النساء الأميات فرتبت مذكرة ذيّلت بمئات البصمات للنساء الأميات يطالبن بالمساواة أسوة بالرجال الأميين الذين يحق لهم الانتخاب والترشيح.

فضلاً عن الأنشطة المطلبية، عملت إميلي بشارات على تكثيف برامج التعليم والتوعية، فشهد الاتحاد دروساً مكثفة لمحو الأمية والإسعافات الأولية وأصول الخياطة، واللغات، كما عملت أيضاً على استمرار الدور الخيري برعاية حاجات النساء الفقيرات من خلال برامج توزيع الغذاء والملابس والحليب والصابون على الأسر الفقيرة والأطفال، وكان ذلك في طلع كل شهر من شهور السنة.

ويلحظ من قراءة تجربة هذا الاتحاد مواءمته بين الأنشطة السياسية والمطلبية الحقوقية وأنشطة التمكين الذاتي والأنشطة الخيرية الرعويّة. وفي ذلك فهم دقيق لطبيعة المرحلة والاحتياجات الحقيقية للنساء في إطار مجتمع ينمو نمواً متسارعاً في الجوانب المادية للتطور الاجتماعي. في الوقت الذي يحافظ على سكونه الثقافي والاجتماعي العام.[٦]

في هذه المرحلة أيضاً، وعلى المستوى الشخصي، أقدمت إميلي بشارات على إنهاء خطبتها التي تمت بترتيب عائلي وتحت ضغط والدها، محتجة بالفوارق الثقافية والفكرية بينها وبين من تم اختياره لها، وغيّرت مهنتها فعملت مع منظمة أمريكية وأسست أول مدرسة للتمريض في الأردن عام ١٩٥٣ [٧].

وفي هذه المرحلة أيضاً توفي والدها الشيخ سلطي باشا البشارات فغادرت البلاد لتحقق حلمها بدراسة القانون، معتمدة بذلك على دخلها الشخصي وما حققته من وفر نتيجة عملها المتواصل في التعليم وإدارة مدرسة التمريض لتعود سنة ١٩٦١ وقد حصلت على دبلوم في القانون من كلية متروبوليتان في سانت اروليانز/ بريطانيا وبكالوريوس حقوق LL.B من جامعة

لندن. وبانتسابها إلى نقابة المحامين في العام ذاته، سجلت كأول محامية امرأة بتاريخ الأردن، ولتنتخب ولدورتين متتاليتين لعضوية مجلس نقابة المحامين الأردنيين [٨]، وبذلك تكون – مرة أخرى– أول امرأة تصل إلى أعلى سلطة قيادية في النقابة التي اشتهرت بدورها السياسي المهم في الحياة الأردنية، وأغلب الظن أنها كانت السيدة الوحيدة التي وصلت إلى هذا الموقع حتى يومنا هذا.

مارست إميلي بشارات المحاماة بنجاح مما أهلها لتؤدي دوراً نقابياً وحقوقياً محلياً وإقليمياً وعالمياً. فأصبحت عضواً في اتحاد المحاميات الدولي، ومثلت نقابة المحامين في أغلبية مؤتمراته وكانت أيضاً عضواً في اتحاد المحامين العرب الذي انتدبها غير مرة لتمثيله في المؤتمرات العربية والعالمية الحقوقية والمتعلقة بحقوق النساء.[٩]

ومنذ ذلك التاريخ، بداية الستينيات، وحتى اعتزالها العمل المهني والنقابي والنسائي في سنة ١٩٧٦، ظلت تمارس مختلف الأنشطة المطلبية المتعلقة بتعديلات قانونية لصالح المساواة في القوانين الأردنية، ذلك فضلاً عن دفاعها المباشر عن حقوق النساء وبخاصة الفقيرات من خلال مئات القضايا إبان ممارستها المحاماة.

بعد عودتها من انجلترا لم تستسلم إميلي بشارات لأحكام الطوارئ التي حظرت العمل الحزبي والمطلبي العام وأدّت إلى حل اتحاد المرأة الأردنية وغيره من المنظمات ذات الطابع الحقوقي المطلبي، فعملت باستمرار على إعادة تأسيس منظمة نسائية مطلبية. ففي شهر تشرين أول من سنة ١٩٦٧ تقدمت ومعها لفيف من السيدات من بينهن نمرة طنوس وفيروز سعد وسميحة الخالدي وسهام العامري وسعاد الحسني وإميلي نفاع، بطلب إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لتأسيس جمعية باسم "اتحاد المرأة العربية" لغاية تنسيق وتنظيم العمل النسائي في ظروف ما بعد الهزيمة، بعد تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين إلى الأردن، وبينهم العديد من النساء اللواتي أصبحت بلا معيل، إلا أن الوزارة رفضت هذا الطلب لأسباب تتعلق بالأمن العام [١٠]. ويذكر أنها عملت بجد لدى الجامعة العربية لاعتماد يوم ٢١ آذار عيداً للأم[١١].

استمرت محاولات إميلي بشارات لإعادة الحياة للحركة النسائية المطلبيّة ومع إقرار عام ١٩٧٥ عاماً دولياً للمرأة، نجحت في إعادة تأسيس جمعية الاتحاد النسائي في الأردن على الأسس ذاتها التي قام عليها الاتحاد ١٩٥٤، وبمشاركة القوى السياسية ذاتها. وكانت أهدافه:

"١- رفع مستوى المرأة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً.
٢- تحقيق ممارسة المرأة لحقوقها الكاملة كمواطنة وعاملة وربة أسرة
٣- تحسين أواصر الصداقة والتعاون مع الاتحادات والجمعيات النسائية العربية والدولية.
٤- تمثيل المرأة في الأردن في المؤتمرات العربية والعالمية.
٥- دعم التضامن العربي في المجالات الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية والمساهمة الفعالة في بناء الوطن العربي في شتى الميادين الحيوية"[١٢].

ثقافتها، فكرها السياسي والاجتماعي

في شقتها الصغيرة تجاور غرفة نومها غرفة خصصتها للمكتبة والعمل، ثلاثة جدران مغطاة بأرفف الكتب والجدار الوحيد الفارغ مزين بصورتها برداء المحاماة وشهاداتها العلمية، وعلى المكتب آلة طابعة قديمة، وعلاقة ملابس علقت عليها حقيبة أوراقها.

عناوين كتبتها تنبئ عن سيدة ذات ثقافة واسعة ومتنوعة. فإلى جانب كتب القانون العديدة ثمة مجموعات من المؤلفات السياسية والأدبية والاجتماعية وباللغتين العربية والإنجليزية. ذلك كله انعكس في كتابتها وأنشطتها، ففي مراجعة كتاباتها كثيراً ما تستشهد بمقتبسات لمفكرين وسياسيين كثر، كما تظهر كتاباتها وعياً سياسياً مبكرا، إذ انتبهت لأهمية القضية الفلسطينية وخطورة الصهيونية وقضية الوحدة العربية إذ قالت في مداخلتها أمام المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٤٤ "إن قضية فلسطين هي قضيتنا، وإننا ندرك ما للوحدة العربية من أثر في جمع شملنا عند العرب"[١٣]. يؤكد ذلك ما نشر عن دعوتها إلى أميركا للمشاركة في المؤتمر النسائي العالمي سنة ١٩٤٦ للبحث عن وسائل مساعدة الحركة النسائية للأمم المتحدة، فاحتجت على عدم دعوة ممثلة عن فلسطين، إذ جاء في خبر الدعوة أن إميلي بشارات على اتصال بزميلاتها العربيات للتداول في أمر تلبية الدعوة ولضمان دعوة ممثلة عن فلسطين أو الاعتذار عن المشاركة في المؤتمر. وعندما غادرت للمشاركة بهذا المؤتمر عقدت سلسلة من اللقاءات مع مندوبات الدول المشاركة، فضلاً عن سلسلة من المحاضرات واللقاء مع أبناء الجالية العربية هناك. ومن كلمة لها لأبناء الجالية العربية لدعوة هؤلاء لمناصرة القضية الفلسطينية بالقول: "أيها الأخوة الأحبة إن وطنكم الذي حملت إليكم أمنية، ألا تسمعونه، يناديكم من بعيد لتساهموا مع الذين هم في حومته في الشرق لإنقاذه. وليس الأطلنطي ليمنع نجدة العربي لأخيه

العربي إذا ما أحاق به الضيق، وتكالبت عليه قوى الشر..."[١٤] كما دعت في محاضرات أخرى إلى ضرورة توضيح دور النفوذ الأنجلو أمريكي المتأثر بالنفوذ الصهيوني في التلاعب بالحقوق العربية في فلسطين، من خلال التحايل القانوني وتجاهل الحقوق الطبيعية للفلسطينيين وإهمالها، وضرورة كشف واستنكار الدور البريطاني في قمع ثورة ١٩٣٦ وكشف الادعاءات الصهيونية حول حق اليهود في فلسطين[١٥].

والمفارقة في حياة إميلي بشارات السياسية إن اختلافها مع بعض القوى الفلسطينية العاملة في الأردن والممثلة في جمعية الاتحاد النسائي في الأردن سنة ١٩٧٦ هو الذي جعلها تستقيل من الاتحاد لتعتكف في منزلها. إذ أهانتها ممثلة إحدى هذه المنظمات الناشطة من خلال الاتحاد وبشكل علني باتهامها "بالإقطاعيّة المتخلفة" [١٦]، وذلك حسب بعض الروايات، ويمكن فهم هذا الموقف في إطار الصراع المحموم على قيادة الاتحاد بين ممثلات المنظمات الفلسطينية وممثلات اليسار الأردني (الحزب الشيوعي) وهذا الصراع اختبرته بنفسي عندما انضممت إلى الاتحاد وانتخبت لعضوية هيئته الإدارية سنة ١٩٧٩، وكان معروفاً أن إميلي بشارات كانت الأقرب فكرياً وسياسياً إلى الشيوعي منها إلى هذه المنظمة.

وبالعودة إلى فكر إميلي بشارات السياسي يمكن الإشارة إلى ميلها المبكر للفكر الاشتراكي الذي عزز بقراءات مكثفة في الفكر الماركسي تكتب سنة ١٩٤٦ حول علاقة الفرد والمجتمع،[١٧] وركزت في أنشطتها على قضية الاستقلال الاقتصادي، ومحاربة الفقر، فضلاً عن علاقتها الوطيدة باليسار الأردني. كذلك أدركت ومنذ وقت مبكر أهمية التضامن العربي والوحدة العربية إذ جاء في كلمة لها في تكريم الأميرة زين الشرف (الملكة الوالدة لاحقاً) ونشرتها مجلة الرائد "لنحيي سوريا ولبنان وروح البطولة الخالدة والتضحية السامية في الدفاع عن الحق والكرامة والحرية والاستقلال... فنحن وإن خلقنا أقطاراً، أمة واحدة تربطنا وحدة الدم واللغة ووحدة الغاية فلنتكاتف معاً ولنغرس في قلوب أطفالنا أن البلاد العربية الشقيقة هي قلبنا النابض وتراثنا الخالد وفخرنا المقدس الذي تتجه إليه في جهادنا الوطني لبناء الوحدة العربية"[١٨]. ومن خلال اهتمامها بالأطفال تكتب عن أهمية التربية الوطنية والقومية وعن دور اللغة العربية والتراث العربي الأصيل في هذه التربية وتنتقد ضعف التربية القومية وتسمية الأطفال بأسماء أجنبية فتقول "لنلقّن أطفالنا أنشودة الوطن الغالي ولنعلمهم أغاني قومهم ولنجعلهم يفاخروا بمجد العرب وعز العرب وتاريخ العرب.. أجل لقنوا الطفل أنه عربي ابن عربي، وعربي قبل كل اعتبار"[١٩]. ولفتتت في المقال ذاته إلى أسبقية الانتماء القومي على الانتماء الديني، كما تلفت إلى ضرورة نبذ التعصب

الأعمى لكل ما هو عربي. وتدعو إلى الانفتاح على الآخر والعمل على تمازج الثقافات والاستفادة من المنجزات الفكرية والعلمية لدى الغرب.

هذا الوعي القومي، وجد تعبيرات أخرى في العديد من الأنشطة اللاحقة ومنذ الخمسينيات التي عكست تقارباً مع التجربة الناصرية، وتمثلت بالعديد من البرقيات لجمال عبد الناصر، بمناسبات عدة منها تأميم قناة السويس، ثم سلسلة الأنشطة التي قادتها في الاتحاد النسائي للتضامن مع الشعب المصري إبان العدوان الثلاثي، ومنها برقية إلى السكرتير العام في الأمم المتحدة تطالبه بفرض عقوبات على المحتلين وطرد إسرائيل من قطاع غزة، كذلك قادت حملة تدريب النساء على الإسعافات الأولية واستخدام السلاح.

وبعد الانقلاب الحكومي وإعلان الأحكام العرفية تابعت إميلي بشارات كنقابية حقوقية أنشطتها السياسية كمستقلة جزئياً من خلال العديد من أنشطة التضامن مع المعتقلين السياسيني والقضية الفلسطينية والقضايا العربية عموماً.[٢٠]

أما فكرها الاجتماعي النسوي فقد شهد تطوراً ملحوظاً فكما سبقت الإشادة بذات إميلي بشارات نشاطها العمل بالعمل الخيري الرعوية لكنها امتلكت وعياً مبكراً بقضية النساء فركزت على قضية تعليم الفتيات وكررت المطالبة بإلزامية التعليم، وانتقدت النظام التعليمي والمناهج التعليمية والتمييز ضد النساء في التعليم وأسس قبول الطالبات، كما انتقدت اتخاذ التعلّم زينة بهدف تحسين فرص زواج الفتاة [٢١].

وقد سبق التوضيح كيف عكست أهداف المنظمات النسائية التي أسستها تطور هذا الوعي فبعد التركيز على العمل الخيري التطوعي تتجه أهداف الاتحادان اللاحقان اتحاد سنة ١٩٥٤ واتحاد سنة ١٩٧٤ نحو قضايا مطلبية وحقوقية فضلاً عن قضية التعليم وتوفير فرص العمل ورفع المستوى الاقتصادي للنساء. ثم قضية التضامن العربي وقضية السلام العالمي.

أما فكرها النسوي فيتجلى في كتاباتها حول علاقة الرجال بالنساء لكنها لا توقع باسمها الصريح إذ تستعمل توقيع (بنت الأردن). ففي العدد الأول من مجلة الرائد وبعنوان "أيها الرجال فإن الأمر جد" تكتب "إن عقل المرأة هو عقل الرجل من وجهة النظر الفسيولوجية، لأنها تقدر على إنتاج العمل الذي ينتجه الرجل لو أتيحت لها الفرصة المناسبة، وإن كان هناك بعض التفاوت من حيث القوة والضعف، ومن حيث الثبات والتذبذب، والباعث لفكر الرجل هو الشجاعة

والحزم في خلقه، والقاتل لفكر المرأة هو الخجل والتردد في خلقها كذلك[٢٢]. وفي مقال آخر تلفت إلى حساسية الموضوع ومخاوفها من ردود الفعل الاجتماعية والعائلية لكنها تؤكد أنها "تعبّر عن غاية سامية وبعبارة عادلة ونفس قوية" ومن هذه المقدمة الذكية تحلل هذه العلاقة لتكشف أنها تقوم على أساس سلطة الرجل وسيادته المطلقة، لتؤكد "أن المرأة ليست متاعاً للرجل" ثم تلفت دور النساء أنفسهن في تأكيد سيادة الرجل وتشير إلى دور الأم في استمرار التمييز بين الطفل والطفلة ابتداءً من الحزن على ولادة الأنثى ومروراً بتوجه الفتاة لخدمة أخيها الذكر والانصياع إلى أوامر وانتهاءً بقبول سلطة الرجل وسيادتها عليها. كما تستعرض مجموعة السلوكيات التي يمارسها كلاً من الرجال والنساء والتي تحافظ على استمرار العلاقة غير المتكافئة بين الجنسين لتنتهي إلى تأكيد خطورة أدوار النساء وأهميتها بما يتطلب العناية بصحتهن وثقافتهن ومظهرهن – وتعليم الأم كيف "توجه ميول السيادة لدى الطفل إلى مسارب الرجولة الحقة"[٢٣].

الإنسان الأنثى

سبقت الإشارة إلى أنني لم ألتقِ بالراحلة إميلي بشارات شخصياً. بالرغم من محاولاتي المضنية، ووسيلة الاتصال بها كانت عبر الهاتف، أذكر مكالمتنا الأولى وكانت سنة ١٩٨٥. بعد نشر كتابي "مقدمات حول قضية النساء والحركة النسائية في الأردن"، اتصلت بها لأزورها لإهدائها الكتاب، كان قد وصلها وقرأته. بلطف أعطتني بعض الملاحظات واعتذرت عن اللقاء، يومها أخبرتني أنها أخذت على نفسها عهداً أن لا تلتقي بأحد من ناشطات الحركة النسائية، ورفضت توضيح السبب. بعد فترة فوجئت برسالة منها تتضمن إلى جانب ملاحظاتها على الكتاب، وثائق تضيف إلى المعلومات الواردة به، ومن أهم هذه الوثائق رسالة بتوقيع هدى شعراوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري لدعوة الاتحاد النسائي الأردني ورئيسته إميلي بشارات عضو المؤتمر النسائي العربي العام الذي انعقد في لبنان سنة ١٩٤٥ لمناقشة دستور الاتحاد النسائي العربي العام الذي تشكل في مؤتمر سابق عقد في القاهرة عام ١٩٤٤ بعضوية منظمات نسائية من مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين، فضلاً عن صورة من مقالة لها بعنوان "هدى شعراوي كما عرفتها" نشر في مجلة الرائد بعد ذلك تواصلت مكالماتنا الهاتفية واستمر رفضها المهذب للقاء أو لحضور حفلات التكريم التي أعدت لها من قبل بعض المنظمات والناشطات النسويات، واستمرت علاقتنا على هذه الحال حتى سنة ١٩٩٧، بعد ذلك كان الرفض يأتي عبر "نجمة" مرافقتها التي كانت تحتج بنوم الآنسة أو مرضها. إلى أن رحلت سنة ٢٠٠٤، لألقى ما تبقى من أنفاسها الهادئة في شقتها الصغيرة بعد وفاتها بأيام، وكان سبب اللقاء تصوير شقتها كما تركتها، واستلام ما تبرعت به للمعهد الدولي من مقتنياتها. وكان المعهد الدولي لتضامن

النساء قد قرر إنشاء قاعة متحفية لمكتبتها ومقتنياتها بعد أن كرمها في حياتها بإطلاق اسمها على إحدى قاعات مركز مصادر المعلومات حول المرأة باسم "مكتبة إميلي بشارات للقانون وحقوق النساء".

دخلت الشقة وبرفقتي طاقم التصوير التلفزيوني والسيدة لينا قورة المديرة التنفيذية للمعهد، وعبلة بشارات ابنة أختها ورفيقتها الدائمة، وكنت أتساءل في سري، ماذا لو زرتها هكذا وبدون اتصال هل ستطردني مثلاً..؟ واجهتني صورتها المبتسمة ذات الرداء الوردي الموشح بالأسود، أدركت أنها لم تكن لتفعل، لكنها بالتأكيد لن تتكلم. فواحدة بمثل رقتها وصرامتها لن تتراجع عن قرار اتخذته.

تجولت في المنزل غرفة الجلوس، صالون الاستقبال، المكتبة، ذوق رفيع يعبر عن شخصية هادئة متواضعة، تعتز بتاريخها، إذ تتوزع وفي أرجاء المنزل ما يشير إلى نشاط هذه المرأة وتاريخها، صورة هنا مع فالنتينا تريشكوفا، تمثال لينين المقابل لصورة والدها. رفوف صغيرة صفت عليها الهدايا والتذكارات التي جمعتها من زياراتها للعديد من الدول. مكتبتها الغنيّة بمئات المراجع القانونية وكتب الأدب والسياسة، تساءلت أين هي المرأة في هذا المكان؟ كانت غرفة نومها أصغر غرف الشقة يتوزع أثاثها البسيط بملاصقة الجدران ويتوسطها فراغ ضيق، على يمين الغرفة سرير صغير إلى جانبه دولاب احتوى أشيائها الصغيرة وأدويتها، وعلى سطحه القرآن والإنجيل باللغة الإنجليزية، وعلى الحائط فوق السرير صورة العشاء الأخير للسيد المسيح، وصورة القديس جرجس يقتل التنين. يقابل السرير دولاب الزينة وعلى سطحه صفت أدوات الاستعمال الشخصي وأدوات زينة متواضعة، وعلى الجدار الأخير خزانة الملابس.

مرة أخرى ما هي طبيعة المرأة في هذا المكان الخاص؟! ملابس أنيقة هادئة الألوان كانت تستعملها للعمل، ثوب سهرة وحيد، وثوب شعبي من تراث مدينة السلط. وثوب صيني يبدو أنه هدية. وكل ثوب يقابله حذاء وحقيبة مناسبة. أما ملابس النوم فهي بسيطة وتشبه ملابس فتاة محافظة في الثانوية العامة. والحضور الوحيد للرجل في هذه الزاوية الحميمة صورتان للسيد المسيح والقديس جرجس.

إذاً البساطة والمحافظة هما الطابعان الغالبان على المقتنيات الشخصية وأمام هذين الطابعين هل يجوز السؤال عن الرجل في حياتها.

سبقت الإشارة إلى أنها ارتبطت ولفترة قصيرة بخطبة تم ترتيبها من قبل الأب، ويبدو أنها لم تكن مقتنعة بهذا الترتيب فسارعت إلى إلغائه عند توفر الظرف المناسب واحتجت بالفارق الفكري بينها وبين من فرض عليها. غير هذه الرواية لم أجد أحداً يشير إلى ارتباطها برجل، ومن المعلوم أنها توفت عن عمر يناهز التسعين عاماً دون زواج، فهل يعقل أنها عاشت من دون أي ارتباط عاطفي؟ أو لماذا تخلو شقتها من أية صورة لرجل، زميل أو صديق او زعيم، وما دلالة صور الوالد، السيد المسيح، والقديس جرجس، وهل يجوز البحث خارج الدلالات العامة لهذه الصور؟! ما هو موقفها من الحب والزواج؟

أطرح هذه الأسئلة على عبلة بشارات ابنة أختها ورفيقتها الدائمة، وعلى إميلي نفاع الصديقة المشتركة التي استمرت بالاتصال المباشر بها. تفيدان بأنها لم تتطرق إلى الموضوع يوماً وأن لا أحد تجرأ على سؤالها عن هذا الموضوع. وتروي إميلي نفاع حادثة تتلخص بأنها كانت في مقابلة مع عدد من أعضاء مجلس النواب بشأن رفع مذكرة لإجراء بعض التعديلات القانونية، ففاجأها أحدهم بالقول "اذهبي وابحثي لك عن عريس أفضل" وتكمل إميلي نفاع، أن هذه الملاحظة أغضبتها وآلمتها، فحقيقة أنها ردت الرد المناسب الذي أحرج سعادة النائب، إلا أنها وبعد مغادرتها لمجلس النواب لم تستطع إخفاء ألمها من ذلك "التعليق السمج" حسب كما وصفته هي لإميلي نفاع.لتنتهي إميلي محاولة إجابتها على هذه الأسئلة بالقول أنها كانت مثالية أخلاقياً وبالمعنى الإيجابي لمفهوم الأخلاق. لم تكن متزمتة لكنها فهمت حقوق النساء في إطار السياق الطبيعي لتطور المجتمع، فلم تقفز في مطالبها قفزات خطرة تسيئ لقضية النساء أكثر مما تخدمهن، لذلك كان تركيزها على أولويات مثل حقوق التعليم والعمل والصحة [٢٤].

وتوضح إميلي بشارات بذاتها بعض جوانب طبيعتها الأخلاقية في مقالة لها بعنوان ابتسمي وقعتها باسم (بنت الأردن)، مقالة تكشف الكثير من جوانب شخصيتها المتسامحة ففي الوقت الذي تؤكد على ضرورة عدم الاستسلام لأمر الواقع "ابتسمي كلما أجبرك القوم على ما لا تطيقين، لكن إياك أن تستسلمي لغير مشيئة الله، قاومي الظلم وعاندي الطغيان ولا تخافي اتهامك بالتطرف والعصيان" تؤكد مرة أخرى على ضرورة التسامح فتقول ابتسمي إذا شتمك عدو أو شافهك برفض عنيد، لان الابتسامة تغطي نار الحقد والعبوس يزيد في إضرامها.."

وإذا ربطنا ذلك كله بخلفيتها المسيحية الطهرانية وثقافتها الاشتراكية وفي إطار السياق الاجتماعي السائد، ومستوى تأثرها بشخصية والدها وطبيعة علاقتها به تمكننا من فهم طبيعة شخصيتها التي يلتقي بها تسامح السيد المسيح في العشاء الأخير، وصلابة مار جرجس في

مقاومته للشر. وحكمة الأب في إدارة زعامته السياسية والاجتماعية، وأخيراً اختياراتها الشخصية الواعية لنوع ثقافتها وطبيعة أنشطتها والتي تمثلت في نزعتها الاشتراكية الواضحة التي ظلت تؤكدها حتى اللحظة الأخيرة في حياتها. عندما تركت ثروتها لمؤسسات أكاديمية وطبية فضلاً عن مؤسسات رعاية الأيتام القائمة. أما الأنثى فيبدو لي أنها غُيبت تماماً، وما ظهر منها، هي الأم التي استطاعت الاستعاضة عن ولادتها الشخصية بولادتها لمئات الأيتام الذين رعتهم منذ عام ١٩٥١ عندما أسست أول مركز لإيواء الأيتام ورعايتهم في الأردن إلى أن رحلت تاركة لهم مبالغ محترمة كفيلة بتأسيس مؤسسة تحمل اسم والدها "سلطي باشا البشارات".

الرحيل الصامت

البحث في حياة هذه السيدة يثير من الأسئلة أكثر ما يجيب، فما تركته لنا يحكي قصة حياتها العامة. وكأنها تريد أن تقول بعد رحيلها، أنها اندغمت كلياً بالعام حتى فقدت الخاص، حقيقة أنها انجزت الكثير فعبرت عن ذاتها كتابة وعملاً اجتماعياً ونضالياً، فاحتجت على وضع المجتمع بأسره، وعلى تخلف الأمة وهزائمها. فناصرت قضاياها. كما احتجت على وضع النساء، وعملت لأجلهن وناصرت قضيتهن، انتقدت مجتمعها قولاً وكتابة وعملاً لكنها لم تتمرد عليه تمرداً مجانياً، ولم تكشف حقائق عيشها الخاص كلها، تحايلت على ظلاميته وقسوته وتخلفه بالصمت تارة، والاختفاء وراء الأسماء المستعارة تارة أخرى. لا لجبن، بل لأنها فهمت مستوى التطور الاجتماعي فرتبت أولوياتها حتى تحقق لذاتها وللنساء من المكاسب ما يمكنهن في النهاية قطع أكبر مسافة من الطريق نحو الحرية، تجاوزت العوائق المادية بالجهد الدؤوب، بالتعلم والتثقف والعمل الجاد، أحنت رأسها للعاصفة لترفعها قوية بعد عبورها، ولسان حالها عنوان مقالة كتبته "ابتسمي" ومع ذلك لا يمكن القول أنها لم تخسر الكثير، ولم تظلم فالسيدة التي نشطت وناضلت لمدة تزيد عن الثلث قرن، اعتكفت صامتة لمدة تزيد أيضاً عن ربع قرن. السؤال لماذا، رحلت وحملت أسبابها معها. حقيقة أنها تركت مذكرات تحمل عنوان "حكايتي في بلدي ومكافأتي" والمذكرات بعهدة ابنة شقيقتها حتى الآن، إذ عبرت في هذه النصوص عن حجم الغبن والإقصاء وعدم التقدير والإجحاف بحقها من الأطراف المعنية، إذ تقول في هذه المذكرات وكما تشهد إميلي نفاع: "عندما أقيم مسيرتي التطوعية الخيرية والوطنية أجد نضالي وجهودي طيلة سنوات عمري ذهبت مع الريح"، وفي فقرة أخرى تقول "إنني لا أعجب لأسباب هذه الهجمة الشرسة، والحرب النفسية الانتقامية الموجهة ضدي وأنا التي وهبت نفسي وصحتي وأعصابي لوطني في شتى الميادين..." [٢٥].

وأنا بدوري أستطيع المصادقة على كلام الرائدة الراحلة. فكما أشرت في بداية هذا النص، التحقت بالاتحاد النسائي في الأردن سنة ١٩٧٩، أي بعد مغادرتها بثلاث سنوات. ولم أسمع اسمها قبل ذلك التاريخ ولا طيلة فترة عملي في الاتحاد بالرغم من كون معظم كوادره وقياداته وحتى فترة متقدمة من زميلاتها اللواتي عملن معها. كما لم أسمع اسمها من أي شخصية من القوى النسائية والرجالية الناشطة في المجالين السياسي والنقابي. واكتشفتها بالصدفة عندما بدأت بالإعداد لكتابي الأول "مقدمات حول قضية النساء." يومها سلمتني السيدة سلوى زيادين مشكورة جزءً من أرشيفها الصحفي، لأجد بعض أنشطتها في قصاصات صحف الخمسينيات وبدأت البحث، أسئلة كثيرة ولا من مجيب. وأذكر ردود فعل بعض من سألتهن عنها وقبل رحيلها من ناشطات الحركة النسائية، كانت تشبه رد فعل من يقابل عقرب أو ثعبان قاتل.

وإذا ربطت هذه التجربة الشخصية، بعدم وجود ما يشير إلى ريادتها وجهودها في وثائق الحركة النسائية الأردنية الرسمية، أو وثائق ما أصبح يعرف "بمبرة أم الحسين"، وهو الميتم الذي أسسته سنة ١٩٥١ وأدارته ورعته حتى سنة ١٩٦٥، والملاحظات السمجة من نوع "اذهبي وابحثي لك عن عريس"، والتجاهل من قبل الحركة السياسية والثقافية عامة وبخاصة نقابة المحامين، والاتهام المجاني من قبل بعض القوى اليسارية بخاصة من نوع "الاقطاعية" وغير ذلك الكثير أستطيع تفهم سبب اعتكافها. وإذا ربطت ذلك كله أيضاً بطبيعة شخصيتها وأخلاقها من جهة أخرى استطيع تفهم سبب صمتها في حياتها، وتركها الإجابة لمن يريد أن يعرف عبر مذكراتها بعد وفاتها.

لأنتهي إلى القول أنني عملت جاهدة على البحث في سيرة حياة هذه الرائدة فلم أجد الكثير مما يسعفني، وأعلم أن هناك الكثير من أرشيفها فضلاً عن مذكراتها وصورها لدى بعض أقاربها القريبين، وكلي أمل أن أتمكن من الوصول إلى ذلك كله من أجل كتابة سيرة حياة الرائدة الراحلة كاملة.

المصادر:

[١] مقابلات مع عبلة بشارات في تواريخ ٢٠٠٥/٢/٦، ٢٠٠٥/٣/١٧ أيضاً مقابلة مع فائق بشارات بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١٧.

[٢] فيحاء عبد الهادي إميلي بشارات: أول محامية في الأردن (مقابلة) جريدة الأخبار (عمان-الأردن) تاريخ العدد ٧٥/١١/٢٠ السنة الحادية عشرة.

[٣] محرر مجلة الهدى، دعاية عربية مجدية في الولايات المتحدة: الآنسة إميلي بشارات تؤدي رسالة المرأة العربية. مجلة الهدى. مكان العدد مجهول.رقم العدد مجهول، ١٩٤٧ ص١٥. [صورة لصفحة المجلة من أرشيف إميلي بشارات].

[٤] السيرة الذاتية: مصدر سابق.

[٥] جريدة فلسطين، عمان، رقم العدد مجهول. تاريخ العدد ٥٦/٢/٩ [صورة من أرشيف السيدة سلوى زيادين].

[٦] التل: سهير، مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص١٢٥-١٣٠.

[٧] مقابلات عبلة بشارات : مصدر سابق.

[٨] السيرة الذاتية المختصرة، مصدر سابق، أيضاً مداخلة شفهية للمحامية أسمى خضر في الندوة الفكرية لإميلي بشارات تاريخ ٢٠٠٥/٢/٧. شريط فيديو مسجل.

[٩] السيرة الذاتية المختصرة، مصدر سابق، أيضاً مداخلة شفهية للمحامية أسمى خضر في الندوة الفكرية لإميلي بشارات تاريخ ٢٠٠٥/٢/٧. شريط فيديو مسجل.
[١٠] كتاب مدير الشؤون الاجتماعية والعمل تاريخ ١٩٦٧/١٢/٢٥ رقم ش/٢٧٢٨/٥/٢.
[١١] فريد حنا بشارات: كلمة في تأبينها.
[١٢] جمعية الاتحاد النسائي في الأردن، النظام الأساسي، ص٥
[١٣] محرر مجلة الرائد المؤتمر النسائي العالمي يوجه الدعوة الأردنية، مجلة الرائد (عمان) عدد ٤ تاريخ ٢٣ حزيران ١٩٤٦، ص١٣
[١٤] محرر جريدة السمير، رسولة شرقي الأردن في نيويورك، جريدة السمير، نيويورك، العدد مهول، تاريخ ١٩٤٦، صورة من أرشيف إميلي بشارات.
[١٥] محرر مجلة الهدى، دعاية عربية مجديّة في الولايات المتحدة: الآنسة إميلي بشارات تؤدي رسالة المرأة العربية، مجلة الهدى "عمان" رقم العدد مجهول، سنة ١٩٤٧، ص١٥ صورة من أرشيف إميلي بشارات.
[١٦] مقابلة هاتفية مع إميلي نفاع بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/١٢.
[١٧] بشارات، إميلي، من المسؤول، مجلة الرائد (عمان) العدد ٦، تاريخ ٦ آب ١٩٤٥، ص١٠.
[١٨] محرر مجلة الرائد، من كلمة الآنسة إميلي بشارات، مجلة الرائد ، عمان. العدد ١، ٢٠ حزيران ١٩٤٥، ص٥.
[١٩]بشارات، إميلي، أعدوا أطفالنا إعداداً وطنياً، مجلة الرائد (عمان)، العدد ٦ ، ٦ آب ١٩٤٥
[٢٠] نفاع (إميلي)، البعد السياسي في حياة إميلي بشارات، ورقة مقدمة إلى ندوة فكرية تكريماً لإميلي بشارات، ٢٠٠٥/٢/٧، المعهد الدولي للتضامن مع النساء.
[٢١] بشارات (إميلي) متعلمة أو غير متعلمة ومشاكل، مجلة الرائد، عمان، العدد ٢٥، ٢٧ تموز ١٩٤٦، ص١٤.
[٢٢] بنت الأردن، أيها الرجال فإن الأمر جد مجلة الرائد ، عمان، العدد ١، تاريخ ٢٠حزيران ١٩٤٥، ص٣.
[٢٣] بنت الأردن، بهارج المرأة، مجلة الرائد ، عمان، العدد الأول، ٢٠ حزيران سنة ١٩٤٥، ص١٠-١١.
[٢٤] بنت الأردن، ابتسمي، مجلة الرائد، عمان، العدد ٣، الجمعة ١٣ تموز ١٩٤٥، ص١٠.
[٢٥] نفاع (إميلي) ، البعد السياسي في حياة إميلي بشارات، مصدر سابق، ص١٥.